جريدة الانوار — الثلاثاء ٩/٢/٩٣

قضايا ثقافية

«الايزوتيريك» وروح الموسيقى

العالم ابتدأ برقصة، قالوا في الشرق الاقصى. في البدء كان الكلمة قالوا في المسيحية، ويقول العلم كانت البداية انفجارا كبيرا... لم لا يكون الكل محقا؟ فالرقصة والكلمة والانفجار الكوني قد لا تعدو كونها تعابير مختلفة او اثوابا متنوعة لحقيقة واحدة. الحركة. والحركة في اصلها المتقشف واصالتها المبدعة، ذبذبة. والذبذبة هل تكون الا روح الموسيقى؟

لماذا ان قرأنا شعرا نشعر بالموسيقى، ان تفاعلنا مع عمل فني نتحسس الموسيقى، ان توحدنا مع صمت الطبيعة سمعنا موسيقى، ان احببنا تحول الكون كله الى موسيقى - ان حكينا مع طفل صارت كلماتنا موسيقى وان قرأنا في الكتب السماوية تحولت القراءة موسيقى...

ترى، هل تكون الموسيقى هي الوجود الاقرب الى حقيقة الاله، حيث ان الموسيقى هي بين الاكثر تجريدا في كل ما نطال او ننعم به على هذه الارض؟

تلك بعض خواطر استثارتها محاضرة جوزيف مجدلاني حول «سيكولوجية الموسيقى وتأثيرها بين المفهوم العام و «الايزوتيريك» فالموسيقى كما يشرحها الايزوتيريك (علم البواطن اللامنظورة) هي «صوت تحرك الذبذبات في الاجواء كما في الباطن، هي اصلا صوت حركة الذبذبات الكهرطيسية او تذبذبها في طبقات الاثير».

وتحرك الذبذبات في الباطن يعني ان للموسيقى وجودا اساسيا في الكيان الانساني، وهي ليست فقط في الخارج، او تلتقط عبر حاسة السمع وحدها. وان كانت الموسيقى جزءا جوهريا في التكوين الخفي للانسان، فهذا يفسر تأثيرها في النفس وفي الجسد.

لكن كيف تكون الموسيقى موجودة في الكيان الداخلي؟ وكيف يتم تفاعل الكيان مع الموسيقى؟

حسب مفهوم الايزوتيريك، يتألف كيان الانسان من الجسد المادي وستة اجسام لا منظورة، هي اجهزة وعي او «اجسام باطنية» كما يسميها الايزوتيريك. هذه الاجسام الباطنية ذبذبية التكوين، كل جسم منها يتميز بسرعة تذبذب مختلفة وكلها تؤلف الكيان - تماما كما تؤلف النوتات الموسيقية السبع السلم الموسيقي.

يقول الايزوتيريك ان تفاعل الموسيقى مع الكيان البشري يتم عبر الحقل الكهرطيسي، او الهالة، او الجسم الاثيري المحيط بالكيان، اذ لكل نوتة موسيقية درجة تأثير في الهالة الاثيرية، وان كل جسم من اجسام الانسان الباطنية يتأثر بهذه الذبذبات بالدرجة التي يسمح بها تفتح وعيه. من هنا فان الموسيقى تعكس حضارة الشعوب لانها تعكس الباطن الانساني. وما يحويه من مستوى وعي.

الامر الذي لم يكتشفه علم الموسيقى بعد وتبحث فيه علوم الايزوتيريك هو اختلاف تأثير اصوات الآلات الموسيقية في الكيان البشري. فالآلات الايقاعية (حسب تفسير الايزوتيريك) كالطبل والدف تتفاعل مع الاحاسيس الجسدية، فيما الآلات الهوائية او النفخية كالناي والساكسفون والفلوت تتفاعل مع المشاعر، وقد ترتقي الى مستوى المحبة السامية (على حد قول مجدلاني في محاضرته). اما الآلات الوترية فتتفاعل مع الهالة الاثيرية والفكر وائتلاف اصوات جميع هذه الآلات بعضها مع بعض بايقاع معين وبتناغم نوتات معينة تثير المخيلة وتطلق العنان للابداع الفكري.

ويؤكد الايزوتيريك، تعقيبا على اكتشاف سر تأثير الموسيقى في الانسان وحالته النفسية، ان العلماء سيكتشفون في المستقبل القريب ان تأثير الموسيقى لا يقف عند حدود النفس البشرية، بل يتعداها الى اعماق الكيان الانساني حيث تستقر الذات العليا، رمز الحقيقة في الانسان!

فوجود الموسيقى، كما تخبر مخطوطات الشرق الاقصى الغائرة في القدم، وافق عملية الخلق. والمتصوفون واليوغيون الكبار عند الارتقاء بتأملاتهم الى حالات من الغبطة والسمع الروحي يسمعون «صوت حركة الافلاك في مدارها». هكذا يقول الايزوتيريك نشأت ابجدية الموسيقى، او النوتات السبع التي هي في الواقع صوت ايقاع او نغمة كل من الكواكب السبعة في دورانها!

وهنا نسأل: ما علاقة الموسيقى باللون، فالموسيقى تذبذب، واللون ذبذبة، وكما ان هناك في السلم الموسيقي نوتات سبع، ففي طيف النور الوان سبعة!

واذا كان اللون كما يقول الاستاذ مجدلاني في كتابه (علم الالوان الاشعة اللونية الكونية والانسانية) هو لغة الاجسام الباطنية وغذاء الباطن... فهل تكون الموسيقى (نفس الباطن) هي لغة المحبة الشاملة وغذاء الحب؟

وهل للالوان موسيقى لا نسمعها؟
او للموسيقى الوان لا نراها؟
وان كان للون ارتباط بالموسيقى، وللموسيقى ارتباط بالحرف او بالكلمة. وللكلمة ارتباط بالاله، فهل في هذا ما يفسر سمو الفنون ورسالتها، ويشرح وحدة الوجود؟

أ. حيّان

الثلاثاء ٩ شباط ١٩٩٣
الانوار

57-2